بسم الله الرحمن الرحيم

●●● ومن ذلك الأحاديث ما جاء في الصَّحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما اشتكى النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم ذكرتْ بعضُ نسائه كنيسةً رأينَهَا بأرض الحبشة يُقال لها ماريَةُ وكانت أمُّ سلمةَ وأمُّ حبيبةَ رضي الله عنها أتتا أرض الحبشة فذكرتا منْ حُسْنها وتصاويرَ فيها فرفع رأسَهُ ، فقال : " أُولَئكَ إذَا مَاتَ منْهُمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنُوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ، ثمَّ صَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَةَ ، أُولَئكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ الله "

وعن عائشة وابن عبَّاس رضي الله عنهم ، قالا لـمَّا نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفقَ يطرحُ خَمِيصَةً على وجهه فإذا اغتمَّ كشفها عن وجهه ، فقال – وهو كذلك : " لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُودِ والنَّصارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائهِمْ مَسَاجِدَ " يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا . متفق عليه وعن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال : سمعت النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم – قبل أن يموت بخمس – وهو يقول .... " ألاَ وَإنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائهِمْ وَصَالحِيهِمْ مَسَاجِدَ ألاَ فَلاَ تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ إنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ " رواه مسلم وعن جابر رضي الله عنه قالَ : " نَهَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أنْ يُجَصَّصَ القَبْرَ ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ " رواه مسلم .

وقد دلَّت هذه النُّصوص بمنطوقها ومفهومها على أمور :

منها : تحريم بناء المساجد على القبور ، ولذلك لـمَّا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أمر ببناء المسجد في حائط لبني النَّجَّار وكان فيه قبور للمشركين ، وفيه خَرِب ، وفيه نخل ، فأمر صلى الله عليه وسلم بالقبور فنُبشت والحديث في الصَّحيحين .

ومنها : تحريم الصَّلاة في القبور ، وإن لم يُبن عليها مسجد ، قال ابن تيمية رحمه الله : " فإنَّ ذلك أيضًا اتِّخاذها مسجدًا ، كما قالت عائشة : " ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن خشي أن يُتَّخذ مسجدًا . ، ولم تقصد عائشة رضي الله عنها مجرَّد بناء مسجد ، فإنَّ الصَّحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا ، وإنَّما قصدت أنَّهم خشوا أنَّ النَّاس يصلُّون عند قبره ، وكلُّ موضع قصدت الصَّلاة فيه فقد اتُّخذ مسجدًا ... كما قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم : " جُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا .

والأدلَّة على تحريم الصَّلاة في المقابر وإليها كثيرة ، كقوله صلى الله عليه وسلم : " صَلُّوا فِي بُيُوتِكُمْ وَلاَ تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا " متفق عليه ، لأنَّ القبور ليست محلاً للصَّلاة . وقوله صلى الله عليه وسلم : " لاَ تُصَلُّوا إلى القُبُورِ وَلاَ تَجْلِسُوا عَلَيْهَا " رواه مسلم .

ومنها : النَّهي عن دفن الموتى في المساجد .

وهذه فتنة أخرى ابتلى بها بعض النَّاس حيث يدفنون من يعظِّمونه في المسجد ، بل إنَّ بعضهم يبني مسجداً ويوصي بأن يدفن فيه إذا مات ، وهذا كلُّه من البدع المحدثة الَّتي تؤول مع مرور الزَّمن إلى الشِّرك بالله تعالى .

وللفائدة أنقل لك – أخي القاري – نصَّ فتوى للعلاَّمة عبدا العزيز بن باز رحمه الله يستنكر فيها ما نشرته بعض الصُّحف السُّودانيَّة بخصوص دفن المدعو السَّيِّد محمَّد الحسن الإدريسي بجوار أبيه في مسجدهم .

فقال رحمه الله :" ولـمَّا أوجب الله من النُّصح للمسلمين ، وبيان إنكار المنكر ، رأيت التَّنبيه أنَّ الدَّفن في المساجد أمر لا يجوز ، بل هو من وسائل الشِّرك ، ومن أعمال اليهود والنَّصارى الَّتي ذمَّهم الله عليها ، ولعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم – ثمَّ ساق حديث عائشة وجندب رضي الله عنها السَّابقين – قال : والأحاديث في هذا المعنى كثيرة . فالواجب على المسلمين في كلِّ مكان – حكومات وشعوبًا – أن يتَّقوا الله ، وأن يحذروا ما نهى عنه ، وأن يدفنوا موتاهم خارج المساجد ، كما كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يدفنون الموتى خارج المساجد ، وهكذا أتباعهم بإحسان.

وأمَّا وجود قبر النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في مسجده صلى الله عليه وسلم فليس به حجَّة على دفن الموتى في المساجد ، لأنَّه صلى الله عليه وسلم دفن في بيته – في بيت عائشة رضي الله عنها – ثمَّ دفن صاحباه معه ، فلـمَّا وسَّع الوليد بن عبد الملك المسجد أدخل الحجرة فيه على رأس المائة الأولى من الهجرة ، وقد أنكر عليه ذلك أهل العلم ، ولكنَّه رأى أنَّ ذلك لا يمنع من التَّوسعة ، وأنَّ الأمر واضح لا يشتبه .

وبذلك يتَّضح لكلِّ مسلم وصاحبيه رضي الله عنهما لم يدفنوا في المسجد ، وإدخالهم فيه بسبب التَّوسعة ليس بحجَّة على جواز الدَّفن في المساجد لأنَّهم ليسوا في المسجد وإنَّما هم في بيته – عليه الصَّلاة والسَّلام – ، ولأنَّ عمل الوليد لا يصلح حجَّة لأحد في ذلك ، وإنَّما الحجَّة في الكتاب والسُّنَّة وفي إجماع سلف الأمَّة رضي الله عنهم ، وجعلنا من أتباعهم بإحسان .

ومن الأمور المنهيّ عنها في هذه الأحاديث :

تشييد القبور وبناؤها بالجِصِّ ونحوه ورفعها عن الأرض.

ففي صحيح مسلم عن أبي الـهَيَّاج الأسدي قال : قال لي على بن أبي طالب رضي الله عنه : ألا أبعثُك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنْ لاَ تَدَعَ تِـمْثَالاً إلاَّ طَمَسْتَهُ ولاَ قَبْرًا مُشْرِفًا إلاَّ سَوَّيْتَهُ " .

وفيه عن ثـمامة بن شُفَيٍّ قال : كنَّا مع فَضَالةَ بنِ عُبَيْدٍ رضي الله عنه بأرضِ الرُّوم بِرُودِسَ فَتُوفِّيَ صاحبٌ لنا فأمَرَ فَضَالَةُ ابنُ عُبَيْدٍ بِقَبْرٍ فَسُوِّيَ ثمَّ قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي أن لا يجعل على قبره بناء وكانت مقابر المسلمين في زمن الصَّحابة الكرام والتَّابعين لهم بإحسان في عافية من الأبنية والتَّجصيص والقباب امتثالاً للوصايا النَّبويَّة ، فجرَّدوا التَّوحيد وحموا جانبه ، ولم يفعلوا عند القبور إلاَّ ما أذن فيه الشَّرع من السَّلام على أهلها والاستغفار لهم والتَّرحم عليهم .

حتَّى إذا انقرضت القرون الخيريَّة ودبَّ في الأمَّة الضَّعف والفرقة ، أحدث الرَّافضة البناء على القبور قال ابن تيمية رحمه الله : " أمروا ببناءِ المشاهد وتعطيل المساجد محتجِّين بأنَّه لا تصلَّى الجمعةُ والجماعةُ إلاَّ خلف المعصوم ، وَرَوَوْا في إنارة المشاهد وتعظيمها والدُّعاء عندها من الأكاذيب ما لم أجد مثله فيما وقفتُ عليه من أكاذيب أهلِ الكتاب ، حتَّى صنَّف كبيرُهم ابن النُّعمان كتابًا في " مناسك حَجِّ المشاهد " وكذبُوا فيه على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وأهل بيته أكاذيب بدَّلوا بها دينه وغيَّروا ملَّته ، وابتدعوا الشِّرك المنافي للتَّوحيد فصاروا جامعين بين الشِّرك والكذب .

ثمَّ جاء الصُّوفيَّة ، فترسَّموا خطاهم ونسجوا على منوالهم حتَّى ارتبط اسم كلِّ صاحب طريقة منهم بضريح أو أكثر ، وصارت كلُّ بلدة أو قرية تفتخر بكثرة ما فيها من الضَّرائح والقباب والمقامات !

وعند زيارتهم لها وشدِّ الرِّحال إليها لا تسأل عمَّا يُمارس فيها من شركيَّات ومخالفات كالتَّمسُّح بحيطانها ، وتعفير الخدود على أعتابها ، وتقديم القرابين لها والنُّذور ، وتعليق الخِرق عليها والسُّتور ، وإيقاد المصابيح

والشُّموع والعكوف عليها في غاية الذُّلِّ والخشوع ، وسؤال أصحابها بأنواع التَّوسُّلات والتَّضرُّعات ، بإغاثة اللَّهفات وتفريج الكربات ، وغير ذلك من الحاجات والقربات ، الَّتي لا تسأل إلاَّ من ربِّ الأرض والسَّموات ولا تصرف إلاَّ له سبحانه وتعالى . كلُّ ذلك ، وغيره كثير – يحصل ويمارس على مرأى ومسمع من بعض الجهات المعنية ، بل إنَّها تسعى حثيثًا في إحياء تلك الزَّوايا والمزارات ، ودعمها بالأموال والمؤتمرات ، بحجَّة أنَّها روح الأمَّة وتاريخها التَّليد ، بل عودة بها إلى الشِّرك والتَّنديد ، الَّذي حاربه دعاة الإصلاح والتَّوحيد .

وأمَّا دعاة الحزبيَّات ، الَّذين ملأوا الدُّنيا بالضَّجيج والصَّيحات على تطبيق شريعة ربِّ البريَّات ، فمنهم من هاجسه التَّصويت والانتخابات ، ومنهم من اشرأبَّت عنقه إلى مقاعد البرلمان والوزارات ، ومنهم من دَيْدَنه التَّهيج والثَّورات ، ومنهم يزيِّن للشَّباب التَّضحيات والانتحارات ، والكلُّ يتباكى على حقوق الشَّعب والمواطنين ، ولو كانوا غارقين في الخرافة والقبوريَّة ، فأين هم من تطبيق شرع ربِّ العالمين إذا ضاع التَّوحيد الَّذي هو أعظم حقُّ الله على العبيد إن كانوا صادقين ؟!

ولولا أنَّ الله عزَّوجلَّ أقام لدينه في كلِّ حين وزمان من يذبُّ عنه من أولى العلم والعرفان لانطمست معالم التَّوحيد والإيمان ، ولاستفحل الشِّرك في كلِّ مكان ، ولرجع النَّاس إلى الجاهليَّة الأولى وعبادة الأوثان ، كما جرى على ما قبله من الأديان ، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، والله وحده المستعان .

فقام علماء السُّنَّة بما أوجب الله عليهم من الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ، وبيان ذلك من خلال مؤلَّفات مفيدة مدعومة بالحجَّة والبرهان ، مثل كتاب " اقتضاء الصِّراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم " لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وكتاب " إغاثة اللَّهفان من مصايد الشَّيطان " للعلاَّمة ابن قيِّم الجوزيَّة رحمه الله وكتاب " تجريد التَّوحيد المفيد " للعلاَّمة المقْريزي ، وكتاب " والدُّرِّ النَّضيد في إخلاص كلمة التَّوحيد " للعلاَّمة محمَّد بن عليٍّ الشَّوكاني رحمه الله ، وكتاب " تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد " للعلاَّمة الأمير الصَّنعاني رحمه الله ، وكتاب " الشِّرك ومظاهره " للعلاَّمة مبارك الميلي رحمه الله ، وكتاب " تحذير السَّاجد من اتِّخاذ القبور مساجد " للعلاَّمة الشَّيخ محمَّد ناصر الدِّين الألباني رحمه الله ، وكتاب " الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرَّدِّ على أهل الشِّرك والإلحاد " للعلاَّمة الشَّيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى ، وغيرها .

وأختم بكلمة بليغة من عالم مكين وناصح أمين ، لعلَّها تجد قلوبًا واعية وآذانًا صاغية ، يقول الإمام الشَّوكاني رحمه الله (ت 1250 هـ) ، وقلبه يعتصر ألـمًا وحسرةً على ما آل إليه حال المسلمين في زمانه : " وكم سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسدَ يبكى لها الإسلامُ ، منها اعتقادُ الجهلة لها كاعتقاد الكفَّار للأصنام ، وعَظُم ذلك فظنُّوا أنَّها قادرةٌ على جلب النَّفع ودفع الضُّـرِّ ، فجعلوها مقصدًا لطلب قضاء الحوائج وملجأً لنجاح المطالب ، وسألوا منها ما يسأله العبادُ من ربِّهم ، وشدُّوا إليها الرِّحال ، وتمسَّحوا بها واستغاثوا . وبالجملة ، إنَّهم يدعو شيئًا ممَّا كانت الجاهليَّةُ تفعله بالأصنام إلاَّ فعلوه ، فإنَّا لله وإنَّا لله راجعون .

ومع هذا المنكر الشَّنيع والكفر الفظيع لا تجدُ من يغضبُ لله ويغَارُ حميَّةً للدِّين الحنيف ، لا عالـمًا ولا متعلمًا ، ولا أميرًا ولا وزيرًا ولا ملكًا .

وقد تواردَ إلينا من الأخبار ما لا يشكُّ معه أنَّ كثيرًا من هؤلاء القبوريِّين أو أكثرهم إذا توجَّهت عليه يمينٌ من جهة خصمه حلف بالله فاجرًا !! فإذا قيل له بعد ذلك : احلف بشيخك ومعتقدك الوليِّ الفلاني ، تلعثَمَ وتلكَّأَ وأبى واعترف بالحقِّ !! وهذا من أبين الأدلَّة الدَّالَّة على أن شركهم قد بلغ فوق شركٍ من قال : إنَّه تعالى ثاني اثنين ، أو ثالث ثلاثة .

فيا علماء الدِّين ! ويا ملوك المسلمين ! أيُّ رزءٍ للإسلام أشدُّ من الكفر ! وأيُّ بلاءٍ لهذا الدِّين أضرُّ عليه من عبادة غير الله !!

وأيُّ مصيبةٍ يُصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة !! وأيُّ منكر يجبُ إنكاره إنْ لم يكن إنكارُ هذا الشِّرك البيِّن واجبًا ؟!

لقد سمعت لو ناديت حيًّا /// ولكن لا حياةَ لمن تُنادِي

ولو نارًا نفختَ بها أضاءتْ /// ولكن أنتَ تنفخُ في رمادِ

وهذا الَّذي نعاه الإمام الشَّوكاني على أهل زمانه هو بعض ضلالهم وشركهم ولم يستقص جميع أخبارهم ، وما ذلك الزَّمان عنَّا ببعيد ، وما أشبه اللَّيلة بالبارحة ! والله المستعان ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله المتعال . تمت بحمد الله

نشرت ضمن مشروع " حتى لا يبقى العلم حبيس الرفوف "
Live.ibooks@gmail.com

تحذير العابد من اتخاذ القبور مزارات ومشاهد

نشرت في العدد التَّاسع والعشرون لمجلَّة الإصلاح

لفضيلة الشيخ
كمال قالمي حفظه اللّه

ما زالت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوَّل بعثته إلى آخر حياته قائمة على الإنذار والتحذير من الشِّرك بجميع صوره وبكلِّ أنواعه جليَّة وخفيَّة ، كبيرة وصغيرة . ولما كانت الفتنة بالقبور هي سبب أوَّل شرك ظهر على وجه الأرض (انظر إغاثة اللَّهفان (346/1) وما بعدها) ، تواترت الأحاديث بالتَّغليظ والنَّهي عن بناء القبور وتجصيصها ، وعن الصَّلاة عليها وإليها ، وعن اتِّخاذها مساجد وأعيادًا ، وإيقاد القناديل والسُّرج عليها وغير ذلك . كلُّ ذلك حماية لجناب التَّوحيد الخالص ، وحسمًا لمادَّة الشِّرك واجتثاثًا لجذوره واقتلاعًا لأصوله ، وسدًّا لكلِّ باب وطريق يفضي إليه

●●●

أخي الكريم ساهم في نشر هذه المطوية بإهدائها لغيرك بعد قراءتها أو نسخها عسى أن تكون لك صدقة جارية